**المحاضرة رقم 05:**

**نصوص في الإصلاح المغربي:**

**أولا: المغرب الأقصى بين الخلل وضرورة الإصلاح:**

عرف المغرب الأقصى منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر اختلالا في توازنه شمل معظم النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية وحتى الاجتماعية، وكتب عدد من العلماء ينبهون من مغبة تهاوي المخزن.

ولاحظ عثمان اشقرا ان تلك الدعوات الاصلاحية لم تكن على شكل تيار فكري وسياسي عام يخترق المجتمع في جميع مسطحاته واجنحته، بل بقيت دعوات محدودة من حيث الموضوع الذي شمل افق تفكيرها وكان الاصلاح العسكري هو الشغل الشاغل انذاك.

وقد سجل لنا أكنسوس وقف المخزن المغربي من قضي ة الاصلاح العسكري قائلا:"قد ثقل عليهم ذلك غاية ونفرت طباعهم منه لامور عدة منها انهم لم يعهدوا جيش النظام ومنها انهم لم يتوقفوا عليه لانهم لم يجربوه ولم يباشروا المصافة به حتى تظهر لهم مزية ويعلموا انه لا تمكن الغلبة اليوم بدونه لمن قابلهم به."

وتعالت الصيحات منبهة للخطر الاجنبي ولكن ذلك كان بعد فوات الاوان وتمكن الاجانب من شتى مظاهر الحياة في المغرب، عبر ما سمي بالامتيازات القنصلية والتي سبق للمشرفي الجزائري ان نبه لخطورتها منذ سنة 1853 ولكن المغاربة لم يكتبوا في الموضوع الا في وقت متاخر.

وقد الف محمد بن ابراهيم السباعي رسالته المسماة:" **كشف النور عن** **حقيقة أهل البصبور**" وهي مخطوطة في 12 ورقة نبه فيها الى مغبة اللجوء للاحتماء بالنصارى، وحذر المؤ لف اهل المغرب قائلا:" ... وشاعت عنكم هذه الدنية أعظم بها من بلية فصار يلهج بقبحها الادنى والاقصى من المغرب الى السوس الاقصى ، وعاد كل من كشف ستره بهذه الرذيلة وارتدى رجس هذه الرديعة من سفلة الناس يقول عند تقبيحه على طريق القياس: لو كان في موالاة الكفر من باس ما تصارع لها اهل فاس وهم محل العلم والناس..."

ونستنتج من نص السباعي أن ظاهرة الاحتماء بالأجانب قد استفحلت على عهده، وصارت غير مستهجنة بعد أن صار أهل فاس من الممارسين لها.

**النقد الذاتي في كتاب داء العطب قديم للسلطان عبد الحفيظ:**

يشكل نص" داء العطب قديم" للسلطان عبد الحفيظ احد النصوص الهامة التي شرحت واقع المغرب الاقصى، وان كان ذلك التشريح قد جاء بعد فوات الاوان وفرض الحماية على المغرب.

ظهر السلطان عبد الحفيظ عقب ما عرف بالحركة الحفيظية حين اختار علماء واعيان مدينة فاس خلع السلطان عبد العزيز ومبايعة اخيه عبد الحفيظ.

تم عقد بيعة السلطان عبد الحفيظ اولا بفاس ثم بمراكش بيعة تقليدية في اوت 1907 وعلى الفور ارسل رسالة الى علماء فاس وعلى راسهم محمد بن عبد الكبير الكتاني يعرض عليه عليهم الحيثيات التي ادت الى خلع اخيه وبيعته هو وفي مقدمة الحيثيات اخلال السلطان عبد العزيز بواجب الجهاد، وكان على السلطان الجديد ان يلتزم بالحفاظ على استقلال المغرب، لكن الظروف حينها كانت اقوى منه وسقط المغرب في قبضة الاور وبيين وارغم السلطان عبد الحفيظ على توقيع معاهدة الحماية.

وبعد توقيعه لتلك المعاهدة بادر السلطان الى تاليف كتاب فريد في بابه وهو ما يدخل في اطار النقد الذاتي، وهو مخطوط داء العطب قديم الذي مازال محفوظا بالخزانة الحسني ة بالرباط تحت رقم 11600.

وقد جاء في بدايته ما يلي:

" ... أردنا أن نضع كتابا فيه يستفيد منه القارئ أمورا كانت في طي الإهمال، ويتحقق منه ما هو مستتر من الاحوال، والقصد من ذلك هو البحث عن الأسباب التي كانت سببا لاضمحلال المغرب، ومتى كان...الغرض من هذا التقييد ليس هو تتبع مسيرة الأجداد وما فعلوا من المصالح الدنيوية والاخروية لان ذلك مثبوت في عدة تواريخ، **وانما المقصود** هو التنبيه على ما طرأ عليهم من الحوادث التي صدتهم عن تتبع أوائلهم في السهر على السياسة الخارجية حتى قبلوا شروط الدول الأجنبية..."

وراح السلطان عبد الحفيظ يكتب منتقدا بعض السلوكات السلبية لأهل الحواضر الكبرى كفاس ومكناس ومراكش، واعتبرها من الاسباب الذاتية المباشرة للتاخر والانحطاط، ثم يتعرض لظاهرة الانبهار بالاجانب والنظرة الدونية لكل ما هو مغربي.

واعتبر السلطان أن كل تلك العوامل كانت وراء لوضع المتخلف للمغرب وجعله لقمة سائغة لأي محتل أجنبي.

ولعل القيمة الرئيسية لهذا المخطوط تمكن في انه اول كتاب يعالج عوامل انحطاط المغرب من باب النقد الذاتي ومن قبل اعلى شخصية في البلاد وهو السلطان، حيث ان المغاربة لم يكونوا معتادين على هذا النوع من النقد.